تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

الخلاف بين نتنياهو وبايدن "أبعد من رفح": طريقة إدارة الحرب... و"اليوم التالي"

الخلاف يتعمق والشرخ يتسع بين الرئيس الاميركي جو بايدن ورئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو. الخلاف يدور ظاهرا وراهنا حول رفح بين من يريد اطالة امد الحرب، وشن حملة عسكرية من اجل القضاء على ما تبقى من حماس، ومَن يطرح مشروعا بديلا يمنع الاجتياح والتسبب في مجازر في حق المدنيين، ويتيح في الوقت نفسه الاستمرار في ملاحقة حماس والتضييق عليها

الخلاف ابعد واعمق من رفح، يبدأ من طريقة ادارة الحرب ويصل الى استراتيجيا الخروج و"اليوم التالي" في غزة والمنطقة.

التواصل بين بايدن ونتنياهو لم يكن كافيا لتبديد الخلاف حول رفح، بعدما وضع الرجلان خطوطا حمرا متناقضة في خصوص عملية عسكرية في رفح، دلت على عمق الخلافات بينهما، ذلك ان ادارة بايدن تعارض اجتياح رفح، وتعتقد انه ليس لدى اسرائيل خطة اجتياح قابلة للتنفيذ وتسمح بحماية النازحين المدنيين في المدينة. والتخوف هو ان تفشل المفاوضات حول صفقة تبادل اسرى، وعندما ستتقدم اسرائيل نحو اجتياح رفح، وهذه ستكون نقطة انكسار في العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل، في وقت نتنياهو ومعه عدد غير قليل من المسؤولين السياسيين والعسكريين في اسرائيل يخشون ان يكون التأجيل "مصيدة اميركية" ترمي الى وقف الحرب تماما، والتخلي عن فكرة ابادة حماس، والتفرغ لمهمة سياسية لاقامة دولة فلسطينية.

قدمت واشنطن اقتراحات بديلة من الخطة الاسرائيلية لاقتحام رفح. تؤدي الاقتراحات الاميركية الغرض الاسرائيلي نفسه، لكن باثمان سياسية اقل كلفة على الاميركيين والاسرائيليين معا. من البدائل اقتحام رفح بالسيطرة العسكرية على الحدود الجنوبية للقطاع، اي على محور فلادلفيا، وقطع اي تواصل بري بين غزة والعالم الخارجي، على ان توفر واشنطن لاسرائيل التمويل اللازم لتامين الحدود والغطاء السياسي للعملية. وهكذا يمكن الحد من الكلفة البشرية الباهظة للاقتحام العسكري وسقوط الالاف من الضحايا المدنيين. وتوفير الحماية الامنية الطويلة المدى لاسرائيل بقطع طرق الامداد العسكري والمدني للقطاع والتحكم به بعد اغلاق المعابر البرية وحصرها بالممر البحري المراقب اسرائيليا واميركيا، اضافة الى مواصلة ملاحقة قادة حماس والمقاومة بالاغتيالات من دون شن هجوم على رفح، ومواصلة العمليات العسكرية في اماكن اخرى. لكن خلافا للتوصية الاميركية، لا يزال نتنياهو يتمسك بشن هجوم بري على رفح ايا كانت الاثمان المترتبة عليه، اعتقادا منه ان ذلك هو السبيل الوحيد لـ"اعلان النصر"، واستعادة هيبة الجيش الاسرائيلي التي اهتزت في 7 اكتوبر، وضمان تتويجه "ملكا" على اسرائيل وتجنب الدخول الى السجن.

يرى نتنياهو نفسه وحيدا في حربه التي لم ولن يحقق هدفيها: الغاء حماس وتحرير الرهائن بالقوة. وبات معزولا على المستوى الدولي، ولم تعد السلطات في الدول الغربية الصديقة لاسرائيل تتحمل تداعيات مواقف الحكومة الاسرائيلية عليها، لا داخليا ولا خارجيا. وليس في استطاعته تكملة الحرب، حتى لو كانت مصلحته الشخصية تكمن في استمرارها، لانه بات يصطدم بحائط المصالح الكبرى للدول، لاسيما سند اسرائيل الاول، اي الولايات المتحدة الاميركية.

يبدو ان ادارة الرئيس الاميركي عازمة على تسليط ضغوط جدية نسبيا لدفع نتنياهو، وحلفائه في اسرائيل، الى قبول الصفقة التي يراها الاميركيون مدخلا الى مرحلة جديدة في اسرائيل، وغزة، والشرق الاوسط، مع ما لها من تأثيرات عالمية، خصوصا داخل الولايات المتحدة.

في هذا السياق، وبعد صدور العديد من التسريبات، اعلنت واشنطن تعليق شحنة اسلحة كانت متوجهة الى تل ابيب، وهي - بحسب المعلومات - عبارة عن صواريخ دقيقة من الحجم الثقيل، تستعمل في عمليات التدمير الكبرى، وقد استعملت في قطاع غزة مرات كثيرة. فرضت الولايات المتحدة حظر مبيعات اسلحة على اسرائيل ثلاث مرات في تاريخها. المرة الاولى خلال نكبة عام 1948، والثانية في نهاية السبعينات بمبادرة من الرئيس جيمي كارتر ردا على السياسات الاستيطانية، والمرة الثالثة حصلت عندما فرضت ادارة الرئيس رونالد ريغان حظرا خلال الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام 1982. والان، يأتي الحظر الرابع والادهى على يد بايدن الذي اعلن عن وقف شحنات اسلحة معينة الى اسرائيل، وانه سيوقف شحنات اخرى اذا ما نفذت عملية عسكرية واسعة النطاق في رفح... هذا "الحظر" كان مثابة رفع بطاقة حمراء في وجه نتنياهو واعلان الرفض الاميركي الصريح والنهائي لهجوم واسع في رفح...

كان بايدن مارس سياسة ضبط النفس مع نتنياهو واظهر ترددا في مواجهته، وقاوم الضغوط التي مارسها اليسار السياسي في الحزب الديموقراطي للقيام بمزيد من الاجراءات لكبح جماح نتنياهو... لكنه فعلها اخيرا بعدما طفح الكيل لديه وشعر ان عليه ان يقول ويفعل شيئا. فالاسرائيليون طوال الفترة الماضية لم يبدوا اهتماما يذكر بالمخاوف الاميركية، وبعد شهرين من الاعراب الاميركي عن القلق، توصل البيت الابيض الى نتيجة مفادها ان الاسرائيليين لا يكترثون بما تقوله واشنطن، وانما يأبهون فقط بما تفعله. وقد حان الوقت كي تبادر الى التصرف وكي توقف نتنياهو عند حده وتوجيه رسالة تحذيرية اليه، في ظل مواصلة التهديد بغزو رفح. يحصل ذلك في ظل تصاعد التوتر داخل المجتمع الاميركي والاحتجاجات في الجامعات على مسافة اشهر من الانتخابات الرئاسية التي اقتحمتها حرب غزة، فكان لا بد من لهجة متشددة مستجدة لدى بايدن، ومن رسالة الى الداخل الاميركي بانه يظهر تعاطفا مع شريحة من الجمهور الاميركي المؤيد للشعب الفلسطيني في غزة الرافض لحرب الابادة.

ما يجري حاليا بين ادارة بايدن وحكومة نتنياهو لم يحصل مثله منذ الثمانينات، ولكنه لا يعني تحولا في مسار العلاقات الثنائية، ولا في الموقف الاميركي الداعم للحرب ضد حماس. الخلافات بين الطرفين تكررت في الاشهر الاخيرة حول طريقة ادارة الحرب وتنحصر الان في رفح. اصرار نتنياهو على المضي في التحضيرات العسكرية لاجتياح رفح، اخر مدينة ناجية من الدمار الكامل في القطاع، وآخر ماوى للنازحين، وضع العلاقة الاميركية - الاسرائيلية في اصعب اختبار. واشنطن تخشى ابادة جديدة في المدينة ترتد سلبا عليها وعلى اسرائيل معا وترخي باثقالها على

الحملة الانتخابية لبايدن. نتنياهو في المقابل، يواصل لعبتي الابتزاز والمماطلة اللتين يجيدهما طمعا بتوسيع الحرب، في وقت تخوض اسرائيل الحرب على اساس انها حرب وجودية، وتريد ان تواصلها حتى النهاية غير عابئة بالاعتبارات الانتخابية ولا بمصير محتجزيها لدى حماس ولا بحياة المدنيين في غزة.

نتنياهو وضع خطا احمر في لحظة مصيرية حرجة يقابله خط احمر من بايدن المثقل بالهم الانتخابي، وبات يرى في نتنياهو "عبئا استراتيجيا" لأن سياساته تحرج حلفاء اميركا في المنطقة، السعودية ومصر والاردن، وتؤدي الى توسعة الحرب وتتناقض مع حل الدولتين.

في الواقع هناك تناقض جلي بين سياسات نتنياهو ومصالح واشنطن، ويمكن تفصيله على النحو التالي:

• الخطر المحدق بالوجود الاميركي العسكري في المنطقة حيث يدفع "محور المقاومة" الى استهداف قواعد الولايات المتحدة العسكرية المنتشرة فيها، بفعل محاولات حكومة نتنياهو توريطها عبر اعمال عسكرية خطيرة (مثل الهجوم على القنصلية الايرانية في سوريا).

• سياسة نتنياهو تحرج مصر والاردن وقد تتسبب بنتائج وخيمة يمكن ان تزعزع استقرار النظام في هذين البلدين الصديقين لاميركا، كما قد يهدد اتفاق السلام بين اسرائيل وكل من البلدين.

• سياسة نتنياهو تتناقض مع حل الدولتين الذي شددت عليه القيمة العربية في المنامة، والذي تسعى الادارة الاميركية جاهدة الى طرحه كمخرج من الحرب، وكمدخل الى التطبيع بين السعودية واسرائيل.

• جنوني لسعر المحروقات، مما يؤدي الى اوضاع كارثية للاقتصاد العالمي المعولم.

• سياسة نتنياهو تحرج المملكة العربية السعودية ومعها جميع دول الخليج العربي، وتجعلها اقرب الى نهج تعدد علاقاتها الدولية، خصوصا في اتجاه الصين وروسيا، في وقت تسعى الادارة الاميركية الى اعادة صياغة علاقاتها مع السعودية. كما ان سياسة كهذه تخفف من حدة تناقض البلدان العربية مع ايران واكثر ميلا الى مراعاتها.